

### أولاً: المساواة بين الناس في أصل الخلق:

إن الناس جميعاً بمقتضى العقيدة الإسلامية التوحيدية عباد لرب واحد، فهم جميعاً في مرتبة العبودية سواء أمام الله تعالى؛ فالإيمان بالله الخالق وعبادته والتقرب إليه حق لجميع البشر، ولا سلطان لأحد من الناس على غيره فيه، ولا وساطة بين الخالق والمخلوق، فالجميع أمام الله متساوون، وبينه وبينهم باب مفتوح في كل زمان ومكان؛ قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة).

والمساواة في المنظور الإسلامي لا تعنى - بحال من الأحوال - القضاء على الاختلاف أو التمايز بين الناس؛ إذ الاختلاف سنة كونية من سنن الله في خلقه، وهو حقيقة واقعة في الخلق، ولا يمكن محوها أو التغافل عنها؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة هود).

فالاختلاف بين الخلق شكلاً ومنهجاً إرادة الله تعالى في خلقه، وقد نصت على ذلك آيات الذكر الحكيم؛ حيث يُقرر الله تعالى واقع اختلاف مناهج الخلق وشرائعهم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ

فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿١٨﴾ [سورة المائدة].

أما من حيث اختلاف الشكل فقد عدَّ القرآن الكريم ذلك من آيات الله تعالى الداعية إلى النظر في آيات الكون للتفكير والتدبر؛ ففيه تحريك للعبارة، وتذكير بالنعمة، وحفز للفكرة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَسِيحَ وَالْوَيْحُورَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الروم].

ومن ذلك نستطيع القول بأن الله أراد أن تتنوع المناهج والأسس، وأن يَصُبَّ جميعها في غاية واحدة وهدف واحد، وهو تحقيق الخير للإنسان والإعمار للكون، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُوَ مَوْلَاهُ فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا كُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة].

وعلى ذلك فال مساواة تعنى العدالة، والعدالة تكمن في عدم التفرقة بين إنسان وآخر سواء في النظرة أم المعاملة على أساس خلقى يخرج عن فعل الإنسان واختياره.

وعليه فإنه يجب أن تطبق مفاهيم المساواة في الإنسانية في إطار من احترام الاختلاف والتمايز بين الناس، وعدم الاعتداء على هويتهم الذاتية أو محاولة مسخها أو محوها.

كما يجب أن نفهم الاختلاف على أنه حق إنساني يجب احترامه، وإن محاولة أطر البشر جميعاً على نموذج مُعَيَّن بمنطق القوة - لمجرد

اقتناعنا أن هذا النموذج أو ذلك هو الأصل للحياة - يُعَدُّ اعتداءً صارخاً على حقوق الإنسان.

ولا غرو في ذلك فقد وردت نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) صريحة بمساواة البشر جميعاً من حيث أصل الخَلْقَة.

### ١ - حديث القرآن عن المساواة في أصل الخلق:

فأما حديث القرآن العظيم عن تساوي الإنسانية جميعاً في أصل الخلق، فقد تكرر في آيات كثيرة، ومنها:

أ - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُنثَىٰ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء]، قال الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعَرِّفًا عباده كيف كان مُبْتَدَأُ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض وَإِنْ بَعْدَ التَّلَاقِي فِي النِّسْبِ إِلَى الْأَبِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمْ مِثْلُ الَّذِي يَلْزِمُهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي النِّسْبِ الْأَدْنَى، وعاطفًا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوى من نفسه للضعيف حقه المعروف على ما ألزمه الله له»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٧/٥١٤)، تحقيق: الشيخ/ أحمد شاکر، ط. مؤسسة الرسالة، أولى،

ب - وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات]، أى خلقكم أيها الناس من أصل واحد، ذكر واحد وأنثى واحدة، آدم وحواء.

والآية وإن جاءت بصيغة الخبر لكنها اشتملت على أمر، فحواه: يا أيها الناس ذروا كل المعايير الفاسدة التى اعتبرتوها فى تشريف الإنسان وتعظيمه، واحتمكوا إلى المعيار السليم الذى يتحقق به النفع لجميعكم، وهو التقوى، ويظهر ذلك جلياً مما ورد فى سبب نزول هذه الآية؛ حيث ورد فى سبب نزولها ما يلى:

• أن رسول الله ﷺ أمر بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا لرسول الله ﷺ: نُزَوِّجُ بَنَاتِنَا مَوَالِينَا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾<sup>(١)</sup>.

• وقيل: نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس، وقوله فى الرجل الذى لم يتفحس له: ابْنُ فُلَانَةٍ. فقال النبى ﷺ: «مَنْ الذَّاكِرُ فُلَانَةٌ؟» قَالَ ثَابِتٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فقال النبى ﷺ: «انظُرْ فى وُجُوهِ الْقَوْمِ». فَانظَرَ، فَقَالَ: «مَا رَأَيْتُ؟» قَالَ: رَأَيْتُ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ وَأَحْمَرَ. فَقَالَ: «فَبِأَنَّكَ لَا تَفْضُلُهُمْ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ»<sup>(٢)</sup>.

(١) المراسيل لأبى داود (باب ما جاء فى تزويج الأكفاء)، رقم: ٢٣٠، الدر المنثور للسيوطى

(٥٧٨/٧).

(٢) تفسير البغوى (٤/٢٦٥).

• وقيل: لما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالاً حتى عملاً على ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً. وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره<sup>(١)</sup>.

ويستفاد من مجموع تلك الحوادث الثلاث: أن رسول الله ﷺ لم يكن يترك موقفاً تربوياً يستطيع من خلاله تربية أصحابه على احترام الآخر وعدم التعالي على عباد الله بالتفرقة بين الناس على أساس غير التقوى إلا واستفاد منه وأحسن توجيههم فيه إلى ما أراد.

فالتقوى هي الأمر المعترف في التقدير والاحترام في المنظور الشرعي، وهي شئ، كسبى يستطيع كل امرئ تحصيله، والتقوى هي الرحمة بالخلق والإحسان إليهم والعدالة بينهم وهي الخير.

وجماع الأمر أن التقوى سلوك سوي خيّر يدفع صاحبه إلى رحمة المخلوقات جميعها والعطف عليهم والرفق بأحوالهم والصبر على أذاهم. ويلاحظ في الآية أن كلمة «أكرمكم» جاءت بصيغة التفضيل، وهو ما يؤكد حديث الآية عن بيان المستوى؛ فهي تحدثنا عن المستوى الأعلى من التكريم والتشريف، ويفهم من ذلك ضمناً أن لمطلق الإنسان كرامة، وأن للمسلم كرامة أعلى، وأن للتقى الصالح كرامة أعلى. ولكن للكرامة الإنسانية حداً لا يجوز أن يبخس إنساناً منه شيئاً، وهو حد العدالة، وهو الحد الذي تتوفر بمقتضاه لمطلق الإنسان ضرورات العيش وتحسينات الاحترام والتقدير.

(١) تفسير البغوي (٤/٢٦٥).

فتكريم المجتمع الإسلامي للتقى والصالح والشريف والمسارع  
بالخيريات لا يؤثر أبداً في احترام غير المسلم أو المسلم العاصي، لدرجة  
أن المجرم له حقوق إنسانية، وله قدرٌ من الاحترام يدعوننا إلى مخاطبته  
ودعوته إلى ترك الجريمة والتوبة إلى الله من فعلها؛ فجنس بنى آدم  
مُكْرَمٌ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ  
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [سورة  
الإسراء].

فقد ذكرت الآية كرامة من الله الخالق تشمل جميع بنى آدم: مؤمنهم  
وكافرهم، أبيضهم وأسودهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكراً وأنثاهم، ولا  
يحق لأحد أن ينافع الإنسان هذه الكرامة أو يسلبه إياها؛ لأنها عطاء  
وجب له من خالقه.

وهذه الكرامة يتساوى فيها الجميع وتوجب العدالة بين الجميع في  
الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ  
لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا  
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) [سورة  
المائدة]، ويلاحظ أن الآية الكريمة ذكرت العدالة والتقوى، فأمرت  
بالعدل كسبيل لتحصيل التقوى، أي الصلاح.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا  
حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا  
بَصِيرًا﴾ (٥٨) [سورة النساء]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا

بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ [سورة الحديد: الآية: ٢٥].

ومما سبق نخلص إلى أن العدل هو المقصد الأول من إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الناس.

## ٢ - حديث النبي ﷺ عن المساواة بين الناس والعدل بينهم:

وأما حديث السنة النبوية المطهرة عن تساوى الناس جميعاً في أصل الخَلْقَةِ، والحثُّ على إقامة العدل بينهم، فقد ورد في أحاديث كثيرة، ومنها:

(أ) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسَبَابٍ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلُؤُوهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدَّيْنِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَسَبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَدِيًّا بِخِيَالًا جَبَانًا»<sup>(١)</sup>.

ومعنى «طَفُّ الصَّاعِ» أى المِكْيَالُ يَقْرُبُ أَنْ يَمْتَلِيَّ فَلَا يَفْعَلُ، وَالْمَعْنَى كُلُّكُمْ فِي الْإِنْتِسَابِ إِلَى أَبِي وَاحِدٍ بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ فِي النُّقْصِ وَالتَّقَاصُرِ عَنْ غَايَةِ التَّمَامِ، وَشَبَّهَهُمْ فِي نُقْصَانِهِمْ بِالْكَيْلِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَمْلَأَ الْمِكْيَالَ.

(ب) وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ - كِبَرَهَا وَتَجَبَّرَهَا - وَتَعَاظَمَهَا بِأَبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ، رَجُلٌ بَرٌّ تَقَى كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ

(١) مسند أحمد (حديث عقبة بن عامر الجهني ٥٤٨/٢٨)، رقم: (١٧٣١٣).

تُرَابٍ، قَالَ اللَّهُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (١).  
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبَيْةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِيَدَعَنَّ رِجَالَ فِخْرِهِمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَخْمٌ مِنْ فَخْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ» (٢).

(ج) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ حُطْبَةَ الْوَدَاعِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ» (٣).

(د) وَعَنْ بريدة، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ مِنَ الْحَبَشَةِ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَعْجَبُ شَيْءٍ رَأَيْتُ؟» قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً عَلَى رَأْسِهَا مِكَتُلٌ مِنْ طَعَامٍ، فَمَرَّ فَارِسٌ يَرْكُضُ فَأَذْرَاهُ فَجَعَلَتْ تَجْمَعُ طَعَامَهَا وَقَالَتْ: «وَيْلٌ لَكَ، يَوْمَ يَضَعُ الْمَلِكُ كُرْسِيَهُ، فَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَصَدِّيقًا لِقَوْلِهَا: «لَا قُدْسَتْ أُمَّةٌ»، أَوْ: «كَيْفَ قُدْسَتْ؟ لَا يُؤْخَذُ لِضِعْفِهَا

(١) سنن الترمذی (کتاب تفسیر القرآن - باب من سورة الحجرات ٣٨٩/٥)، رقم (٣٢٧٠).

(٢) سنن أبي داود (کتاب الأدب - باب في التفاخر بالأحساب) ٤/٤٩٢، رقم: (٥١١٨).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (فصل، ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء، وخصوصاً

بِالْجَاهِلِيَّةِ ٧/١٢٥)، رقم: (٤٧٧٤).

مِنْ شَدِيدِهَا، وَهُوَ غَيْرُ مُتَعَمَّرٍ»<sup>(١)</sup>. أَي غَيْرُ وَاقِعٍ فِي الْحَرَجِ وَالضَّيْقِ.  
 (هـ) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُخْزُومِيَّةِ  
 الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يَكْلَمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ  
 عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَلِمَةُ أُسَامَةَ، فَقَالَ رَسُولُ  
 اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ». ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا  
 أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ  
 فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمُ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ  
 سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»<sup>(٢)</sup>.

(و) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،  
 فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا.  
 وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا، فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ». وَقَالُوا: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ.  
 قَالَ: «اشْتَرَوْهُ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»<sup>(٣)</sup>.

(ز) وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ  
 مِرَاحٌ بَيْنَنَا يُضْحِكُهُمْ فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بَعُودٍ فَقَالَ: أَصْبِرْ نِي.  
 فَقَالَ: «أَصْطَبِرُ». قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ. فَرَفَعَ النَّبِيُّ

(١) السنن الكبرى للبيهقي (كتاب آداب القاضي - بَابُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْقَضَاءَ  
 وَسَائِرَ أَعْمَالِ الْوَلَاةِ يُمْرَأًا يَكُونُ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ ١٠/١٦٠)،  
 رقم: (٢٠٢٠٣).

(٢) (متفق عليه)، حيث أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان  
 ١٧٥/٤)، رقم: (٣٤٧٥)، ومسلم (كتاب الحدود - باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي  
 عن الشفاعة في الحدود ٥/١١٤)، رقم: (٤٥٠٥).

(٣) صحيح البخاري (كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس - باب استقراض  
 الإبل ٣/١١٦)، رقم (٢٣٩٠).

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ قَمِيصِهِ فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشَحَهُ قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

(ح) وَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ عَلَى سَلْمَانَ وَصَهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغَضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغَضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغَضَبْتَ رِيَّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاةَ، أَغَضَبْتُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَحْيَى<sup>(٢)</sup>.

ونجد فيما سبق ذكره من الأحاديث النبوية الشريفة المنيفة أن النبي ﷺ استثمر المواقف التربوية العديدة في تعليم أصحابه احترام الإنسان وتقدير كرامته دون أدنى التفاتة إلى لونه أو جنسه.

وقد أثمرت تلك التربية الشريفة؛ حيث نجد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وحتى بعد توليه إمارة المسلمين - حينما يَذْكُرُ بِلَالَ بن رِيَاحِ مؤذِنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقول: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا. يَعْنِي بِلَالَ<sup>(٣)</sup>، وذلك أن بلالا كان عبداً في الجاهلية عند أمية ابن خلف فأسلم، فعذبه سيده حتى يرده عن الإسلام، فأبى، ولما اشتد به العذاب والتمثيل اشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه.

(١) سنن أبي داود (كتاب الأدب - باب قبلة الجسد ٤٣٩/٥)، رقم: (٥١٨٢).

(٢) صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي

الله تعالى عنهم ١٧٣/٧)، رقم: (٦٥٦٨).

(٣) صحيح البخاري (كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر

رضي الله عنهما ٢٧/٥)، رقم: (٣٧٥٤).

ومن مثل هذه المواقف العظيمة نتبين أن عقيدة الإسلام وشعائره وعباداته قد حوّلت العرب من أناس تمتلئ عقولهم بالترفة العنصرية والتمييز بين الناس على أسس خَلقية وغير منطقية إلى جماعة من الناس تسودهم روح المحبة والإخاء، حتى أنهم استساغوا أن يعتلى بلال الحبشي ذو البشرة السوداء ظهر الكعبة في فتح مكة؛ ليؤذن من فوقها. ويؤخذ من صورة بلال رضى الله عنه وهو يرفع كلمة الحق (الأذان) من فوق الكعبة أن الإسلام جاء ليُعلَى من قيمة المساواة والكرامة الإنسانية.

\* \* \*

### ثانياً: المساواة في الإنسانية بين الأحرار والعبيد:

جاء الإسلام إلى العالم وكان نظام الرّق قائماً منتشراً في كل بقاع الأرض، وهو نظام يعنى أن يستعبد إنسان إنساناً آخر، فيصير الرجل أو المرأة الذى وقع عليه أو عليها الرق كالشئ الذى يجوز بيعه، وشراؤه، وتوريثه، وقد وصل الحال عند الرومان أنهم كانوا يدرّبون أبناءهم على الرمي بالسهام، ويجعلون العبيد هم الهدف، فعمل الإسلام على غلق المنافذ التى تؤدى إلى استرقاق الأحرار وجعلهم عبيداً تحت إمرة أسيادهم، وهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً لأنفسهم، واتخذ لذلك صوراً للتضييق على نظام الرّق حتى أغلقت أبوابه تماماً، وتلك الصور يتمثل أهمها فيما يلى:

#### ١- الرّق ظاهرة اجتماعية مؤقتة:

لقد أقر الإسلام وجود الرق كظاهرة اجتماعية وسياسية قائمة بالفعل